الخروج على موجب الخطاب في الأسلوب الحكيم

دراسة لسانية تداولية

د. رامي جميل سالم *

تاريخ تقديم البحث: ٢٠١٧/٤/١٦م. تاريخ قبول البحث: ٢٠١٩/٤/٤م.

ملخص

يُعرّف الأسلوب الحكيم على أنّه تلك العلاقة التخاطبية التي تقوم على العدول والانحراف في الجواب عن موجب الخطاب، ومثل هذا العدول يمكن فهمه وتحليله ضمن مبادئ التداولية، ومن أشهر مبادئ التداول التي تركز على الخرق والانتهاك للعملية التخاطبية قواعد التعاون لدى باول غرايس التي حددها في أربع قواعد: الكم، الكيف، الملاءمة، الأسلوب. انطلاقاً من أنّ المتكلم يخرق القواعد أكثر مما يحترمها.

ويهدف هذا البحث إلى تحليل الشواهد المتعلقة بالأسلوب الحكيم تحليلاً تداولياً وفق قواعد التعاون لدى غرايس، وقد تم تحليل الشواهد المتعلقة بكل قاعدة من قواعد غرايس على حدة، مع استثمار التحليل لكل المفاهيم التداولية التي تخدم قواعد غرايس مثل: قواعد التأدب والمواجهة، والقول المضمّن، والمقام، وقد اشتمل البحث على جانبين: نظري تم التمهيد فيه للأسلوب الحكيم وقواعد غرايس التعاونية، وجانب تطبيقي.

خلص البحث إلى أنّ مصطلحات البلاغة العربية ومنها الأسلوب الحكيم صالحة لأن تدرس وتحلل وفق أحد مبادئ التداولية مثل قواعد التعاون. وأنّ الأغراض البلاغية المضمنة في الأسلوب الحكيم متعددة منها: التنبيه على اللائق والأهم، والتخلص، والتّلطف، والتظرف، والتّأدب.

الكلمات الدالة: الأسلوب الحكيم، قواعد التعاون، البلاغة العربية، التداولية، الحجاج

* جامعة الأميرة سمية للتكنولوجيا.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

Flouting of Cooperative Principles in the Style of Evasion: A Pragmatics & Linguistic Study

D . Rami Jamil Salim

Abstract

The style of Evasion is typically described as the conversational relationship in which the direction of speech diverts from the direct purpose of discourse and, hence, can be analyzed in lenses of pragmatics. Some of noticeable principles of pragmatics that focus on disruption of the conversational process are Grice's cooperative principles: quantity, quality, maxim of relation, and manner, assuming that speakers infringe rules rather than obeying them. For the nature of the subject, this study was divided into two parts: the theoretical section introduced the evasion style, its definition, types and illustrative examples, in addition to a glance on Grice's cooperative principles .The action part analyzed representative examples of the evasion style in light of Grice's cooperative principles, along with analysis of pragmatic concepts related with Grice's principles including politeness principle, conversation implicature, situation, and face-threatening act (FTA).

This study concluded that the Arabic rhetorical concepts such as the evasion style are valid for analysis in light of pragmatic maxims of cooperation, and such analysis holds rhetorical and argumentative value in finding out the quip, dictum, and axiom words as require the situational conversation implicature of the evasion style.

Further, in case any of the cooperative maxims is broken, the rhetorical purposes implied in the evasion style are not single, as the research suggests, but are multiple, for instance, suggesting privilege, importance, relevance, phase out, courteousness, wittiness, and politeness.

Keywords: Evasion Style, cooperative maxims, Arabic rhetoric, Pragmatics, Argumentation.

المقدمة:

لم تعد، اليوم، دراسة مباحث البلاغة العربية القديمة في ذاتها دراسة تحقق المأمول منها، فقد أُشبع هذا المجال، على وجه التقريب بحثا ودراسةً خاصة مع ظهور البلاغة الجديدة "الحِجَاج"، وما تحمله من مفاهيم ونظريات وآليات تنصبّ كلها في الاشتغال على تحليل النصوص الأدبية وقراءتها قراءة جديدة في ضوء نظرية الاتصال والتواصل فقد غدا ما يُسمى بـ "القراءة الجديدة" للمصطلحات البلاغية والنقدية عنواناً جاذباً للعديد من الدراسات النقدية الحديثة، ومعياراً رئيساً يشتغل في ضوئه أغلب الدارسين والباحثين في مجال البلاغة والنقد العربيين.

كما غدا، اليوم، الجانب البلاغي من بين أهم الجوانب التي اهتم بها محللو الخطاب داخل نظرية التواصل؛ لما له من حضور فعّال في كل نشاط إنساني، سواء تعلق الأمر بإنتاج الفكر أو بممارسته، ليدخل الجانب البلاغي باعتباره آلية رئيسة في تشكيل الخطاب، ومن يتّبع الشأن البلاغي العربي يجد عناصر التداولية حاضرة في كل خطاباته ومفاهيمه، ومنها خطاب الأسلوب الحكيم، ومن سماتها البارزة عنصرا السياق والمقام، وكذلك مبادؤها الأساسية مثل: مبدأ التعاون الذي أرسى قواعده باول غرايس، ومبدأ التأدب وغيرها.

ولم يكن وَكَد هذا البحث أن يبحث في الأسلوب الحكيم من حيث تعريفه الاصطلاحي، وبيان نوعيه والتمثيل لهما بالشواهد، فهذا العمل قامت به جلّ الدراسات التي تناولت الأسلوب الحكيم، بدءاً بدراسة أحمد بن كمال باشا الذي أفرد الأسلوب الحكيم برسالة خاصة، كان الهدف منها ترتيبه والتفريق بينه وبين ما يشابهه من بعض الأساليب والفنون البلاغية. ثم دراسة محمد بن علي الصامل الذي حقق رسالة ابن كمال باشا، وقدّم لها بدراسة مستفيضة، ثم دراسة سعيد إسماعيل الهلالي: بعنوان الأسلوب الحكيم: دراسة تاريخية فنية وغيرها من الدراسات. وقد تحدد مسعى هذا البحث بتناول الأسلوب الحكيم بطريقة مغايرة لما قدّمته الدراسات السابقة، تناولاً يتأسس على ضرورة الربط بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة؛ وذلك لما توصل إليه البحث من وجود نقاط مشتركة بين البلاغتين، ومن إمكانية تحليل شواهد الأسلوب الحكيم تحليلاً جديداً وفق مبادئ التعاون التداولية خاصة عند خرقها في الخطاب في ضوء الحجاج.

استلزمت طبيعة البحث تقسيمه إلى جانبين: جانب نظري يؤطر لمفهوم الأسلوب الحكيم ولقواعد التعاون التداولية لدى غرايس. والوقوف على مواطن خرق كل قاعدة على حدة. وجانب إجرائي تمثل في دراسة شواهد الأسلوب الحكيم دراسة تداولية وفق قواعد غرايس التعاونية في حالة انتهاكها وخرقها، لإبراز قيمة هذا الأسلوب بلاغياً، وللكشف عن وظائفه التواصلية الحجاجية، ولتحقيق ذلك سعى

البحث لاستثمار كل المفاهيم التداولية التي تخدم بنية البحث في التحليل مثل نظرية التأدب وما يتفرع عنها، ونظرية المواجهة لدى براون وليفنسون، والقول المضمّن، والمقام وغيرها. وقد تم دراسة الشواهد المتعلقة بكل قاعدة على حدة خدمة لفنية البحث. أما مسألة اختيار الشواهد المتعلقة بالأسلوب الحكيم فقد تم اختيار الشواهد التي تكشف عن الأغراض البلاغية المضمّنة في الخطاب، والتي يتم التعبير عنها بأسلوب غير مباشر، ذلك أنّ أي خرق لأية قاعدة من قواعد التعاون تستلزم معنى مضمناً مقصوداً يسعى المتكلم لإيصاله للسامع بأسلوب غير مباشر.

ولما كان الإلمام بكل شواهد الأسلوب الحكيم في هذا البحث من الصعوبة بمكان، فقد تم شفع البحث بجدول يتضمن الشواهد غير المدروسة في البحث، مع تبيان القاعدة التي تم فيها الخرق من قواعد التعاون، والمعنى البلاغي المضمّن فيه والناتج عن حدوث الخرق.

الجانب النظري:

الأسلوب الحكيم: الأصول والامتدادات

ينتمي الأسلوب الحكيم بنشأته ودلالته إلى حقل البلاغة العربية القديمة، درسه كثير من البلاغيين في علم المعاني ضمن موضوعات "خروج الكلام على مقتضى الظاهر" ؛وذلك لأنّ الكلام يطابق به مقتضى الحال، وعلم المعاني يبحث في أحوال اللفظ العربي من حيث مطابقة الكلام لمقتضى الحال، متابعين في ذلك السكاكي والقزويني ومن سار على منهجهم من القدماء والمعاصرين[١]، ولما كان الأسلوب الحكيم يتأسس على "العدول في الجواب عن موجب الخطاب، ... سواء كان ذلك العدول لصرف الكلام عن مراد المتكلم إلى معنى آخر يحتمله"[٢]، فقد درج البلاغيون على اعتباره أسلوباً غير عادي، أسلوباً يخرج عن المألوف ويعدل عن الجواب، ويُحدث في الكلام تطرية ونشاطاً وحُسناً، ويوحي بتمكّن صاحبه من ناصية القول ومقامات الكلام، فضلاً على أنّه يزيد الكلام رونقاً وجاذبية،

(١) درس بعض البلاغيين الأسلوب الحكيم ضمن موضوعات البديع مثل الطيبي ،ومنهم درسه ضمن باب الاستفهام مثل ابن مالك وابن النحوية. انظر الطيبي، **التبيان في علم المعاني والبديع والبيان**، تحقيق هادي عطية الهلالي، عالم الكتب، ١٩٨٦، ص٢٩٥. بدر الدين بن مالك، **المصباح في المعاني والبيان والبديع**، تحقيق حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب بالجماميز، د.ت، ص٨٩.

(٢) ابن كمال باشا، أحمد بن سليمان، **رسالة في بيان الأسلوب الحكيم** ،ضمن مقال محمد بن علي الصامل، **الأسلوب الحكيم: دراسة بلاغية تحليلية**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية–السعودية، ع١٥، ١٩٩٦، ص٩١.

ومن أمثلة ذلك أنّه: "سُئل تاجر: كم رأس مالك؟ قال: إني أمين، وثقة الناس بي عظيمة" ،فعدل عن الجواب إلى ما هو أهم لحاله؛ لأنّ ذِكْرَ هاتين الصفتين، أولى من تحديد رأس المال، فالصفتان أجلب للربح، وأوعى للنجاح في التجارة.

نجد الإشارات الأولى للأسلوب الحكيم عند البلاغِيَيْن الجاحظ (٢٥٥ هـ) وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ). فقد أشار الجاحظ إليه في باب "اللغز في الجواب"، ومثّل له بإشارات تتناسب وبداياته[١]، كما أشار إليه في باب "كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهله وقصد صاحبه"، وضرب له عدّة أمثلة توضح مدلول المصطلح، وجاء عبد القاهر الجرجاني وأشار إلى الأسلوب الحكيم ولكنّ إشارته كانت على سبيل الاستطراد[٢].

وتعدّ محاولة أبي يعقوب السكاكي (٦٢٦هـ) المحاولة الرائدة في الوصول بالمصطلح إلى مرحلة الاستقرار والتعريف في الدلالة والمفهوم، إذ حدد مصطلحه بوضوح ودقة في القسم الثالث من كتابه المشهور "مفتاح العلوم" ،فقال في آخر علم المعاني، مشيراً إليه: "ولهذا النوع، أعني إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر، أساليب متفننة، إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلاّ ولهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة، على ما تنبه على ذلك منذ اعتنينا بشأن هذه الصناعة، وتَرْشُد إليه تارة بالتصريح، وتارات بالفحوى، ... ولا كالأسلوب الحكيم فيها"[٣]، ثم بعد ذلك يُعرّف الأسلوب الحكيم بأنّه "تلقّي المخاطب بغير ما يترقب، كما قال:

أتت تشتكي عندي مزاولة القرى وقد رأت الضيفان ينحون منزلي
فقلت كأَنـــــــي ما سمعت كلامهـــــا هم الضيف جِدّي في قِراهم وعجّلي

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تح عبد السلام هارون، تقديم عبد الحكيم راضي، الشركة الدولية للطباعة – مصر، ٢٠٠٣، ٢: ١٤٨ وانظر ص٢٧٨.

(٢) الجرجاني ،عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تح محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، ٢٠٠٠، ص١٣٨. ما نصّه: "وكقول الذي قاله له الحجاج: "لاحملنك على الأدهم" يريد القيد، فقال على سبيل المغالطة، "ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب".

(٣) السكاكي، أبو يعقوب، **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية–بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ص٣٢٧.

أو: السائل بغير ما "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ" يتطلب كما قال تعالى:[١] فكان السكاكي بذلك أول من وضع لهذا الأسلوب تعريفاً دقيقاً لا يزال يُذكر به حتى اليوم، ولم يخرج البلاغيون من بعده على هذا التعريف، إلا بزيادة ألفاظ توضح معناه، وتبين الغاية من الخروج على مقتضى الظاهر على يد الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) إذ عرّفه بقوله: "تلقّي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب، بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له"[٢].

وقد كشف السكاكي عن أثر هذا الأسلوب في الكلام وأماط اللثام عن بلاغته، قائلا: "ولكل من تلك الأساليب [أساليب خروج الكلام على مقتضى الظاهر] عرق في البلاغة يتسرب من أفانين سحرها، ولا كالأسلوب الحكيم فيها ... وإنّ هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الموقور، وأبرزه في معرض المسحور، "[٣]، فبلاغة الأسلوب الحكيم تكمن في جمال عبارته، وسمو أغراضه ومقاصده، وما يتمتع به من مفاجأة للمخاطب والسائل، وهذا ما يجعل له سلطاناً على المخاطبين أشبه بوقع السحر، ولكنه السحر الحلال.

الأسلوب الحكيم: القيمة البلاغية والأسلوبية:

تكمن القيمة البلاغية لهذا الأسلوب في عدوله عن مقتضى الظاهر لنكتة لطيفة يرتضيها ذوو الأفهام، أو لحكمة شريفة يقتضيها المقام[٤]، يراد منها مراعاة الحال والموقف، للوصول إلى غرض معين ومقصد ضمني محدد يحمل فكراً يؤثر به في المتلقي، وذلك لتنبيهه على الأهم واللائق والأولى بحاله، فإن سؤالاً لرجل هَرِم: كم سِنّك؟ تقتضي الإجابة تحديد العمر فيأتي الجواب مفاجئاً: "إني أنعم بالعافية"، فكأنّ المجيب يصرف السائل ولسان حاله يقول: ليس المهم معرفة كم مضى من عمري، بل المهم أن تعلم أنّي أرفل بثياب الصحة والعافية فهي الأهم، إذ الصحة تاج على رؤوس الأصحاء.

(١) السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص٣٢٧. كلمة المخاطب بكسر الطاء أو فتحها فلكل وجه اعتبار. صيغة (يتطلب) ولِمَ لم يقل يطلب فالأرجح أنه تم مراعاة جانب اللفظ على جانب المعنى فلما قال يترقب قال يتطلب لأجل حسن الازدواج. للاطلاع على تفاصيل أكثر راجع الهلالي، سعيد إسماعيل، **الأسلوب الحكيم دراسة تاريخية فنية**، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، مصر، م١، ع٢٠٠٩،٢٩، ص٩٨-١٠٠.

(٢) القزويني، الخطيب، **الايضاح في علوم البلاغة**، دار الكتب العلمية- بيروت، د.ت، ص٧٩.

(٣) السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص٣٢٧.

(٤) ابن كمال باشا، **رسالة في بيان الأسلوب الحكيم**، ص٩١-٩٧.

أما القيمة الأسلوبية فإنها تكمن في ذلك التخالف الحاصل بين قصد المتلقي وبين ما يريده الملقي، بحمله لكلام المتلقي في الدلالة الظاهرة إلى أخرى عميقة مخالفة لقصده ومراده، مراعياً الحال والموقف، ليحدث بذلك مفاجأة تؤثر في المتلقي، وتؤدي إلى شد انتباهه وصرفه عن الدلالة الظاهرة نحو الدلالة العميقة المقصودة التي يريدها المتلقي. ويمكن التدليل على ذلك بالشاهد التالي: "سأل رجل بلالاً مولى أبي بكر –رضي الله تعالى عنه–وقد أقبل من جهة الحلبة – فقال له: من سبق، قال: سبق المقرّبون. قال: إنما أسألك عن الخيل. قال: وأنا أجيبك عن الخير. فترك بلال جواب لفظه إلى خبر هو أنفع له"(١)

فالمحاورة تقع في صلب القيمة الأسلوبية للأسلوب الحكيم إذ فيها إجابة السائل بغير ما يسأل، وتلقيه بغير ما يتطلب، فينزاح بالصياغة من ظاهرها وهو السؤال عمّن سبق في حلبة السباق الى ما هو أولى وأهم، فيندفع السائل لمعرفة هذا الانزياح وأوجهه، فتتكثف الدلالة في العمق، فينطلق في عملية ذهنية للبحث عن المطلوب ليصل إلى مقصد المتكلم، وهذا يعني أنّ "فهم الملفوظ –أي ملفوظ كان–لا ينفع فيه الاكتفاء بالتحليل القضوي ولا يستوفيه التأويل الذي يقف عند المعاني الحرفية. فبين ما تحمله الملفوظات من معان، وما يضمّنه المتكلم فيها من مقاصد هوة يستعين السامع على تجسيرها بالعودة إلى السياق .... والمعارف المشتركة بين المتفاعلين"(٢). ولا شكّ أنّ القيمة الأسلوبية تتجلى في إثارة المتلقي إلى التفكير في فحوى الجواب بدل البحث عن الجواب، فيرتقي به من مجرد السؤال إلى اكتشاف المعرفة، وامتلاك مهارات التساؤل في البحث عن اللائق والأهم.

دوائر التواصل: البلاغة والحِجَاج والتداولية

ليس الحِجَاج علماً أو فناً يوازي البلاغة، بل هو مستودع من الأساليب والأدوات التي يتم اقتراضها من البلاغة ومن غيرها، ولذلك من اليسير الحديث عن اندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب ومنها على الأخص الأسلوب الحكيم، ولما كان مجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكد والمتوقع، فقد كان من مصلحة الخطاب الحجاجي أن يقوي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تُظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس(٣).

(١) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٢: ٢٨٢.

(٢) عبيد، حاتم، **نظرية التأدب في اللسانيات التداولية**، عالم الفكر، الكويت، ع١، م٤٣، ٢٠١٤، ص١١٨. التحليل القضوي: أي الجملة الخبرية التي يُحكم عليها بالصدق أو الكذب.

(٣) الحباشة، صابر، **التداولية والحجاج، مداخل ونصوص**، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨، ص٥٠.

ويستفيد الحجاج من الأساليب البلاغية بعزل مثل هذه الأساليب عن سياقها البلاغي، ودورها الجمالي والتحسيني، لتؤدي وظيفة إقناعية استدلالية كما هو مطلوب في الحجاج، ومن هنا يتبين أنّ معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية، ولإنجاز مقاصد حجاجية، ولإفادة أبعاد تداولية، فإذا كانت اللسانيات التداولية في أبسط تعريفاتها "دراسة اللغة حين الاستعمال فإن البلاغة هي المعرفة باللغة أثناء استعمالها"(١).

ولما كان الحجاج ظاهرة متجسدة في الخطاب، كان لزاماً أن يتلبّس بألبسة لسانية وأسلوبية، في وقت جرى فيه القول إنّ دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي هو شأن التداولية Pragmatice ولهذا القول ما يبرره؛ إذ كان الخطاب الحجاجي يخضع ظاهرياً وباطنياً لقواعد شروط القول والتلقي، بمعنى أنّ كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة التأثير والقصدية والفعالية ،من ثمّ قيمة ومكانة أفعال الذوات المتخاطبة، ومن ثمّ ينتمي النص الحجاجي إلى مجال التداوليات(٢)، وبذلك حاولت التداولية أن تعالج الحجاج باعتباره فعلاً تداولياً، لا يمكن تفسيره دون إبراز مراتب المتكلمين وأدوارهم في أفعال الكلام، وأهمية السياق التخاطبي. وتظهر الطبيعة التداولية للحجاج في التعريف الذي قدّمه طه عبدالرحمن قائلاً بأنّ الحجاج "فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية "(٣).

يُراد بالتداوليّة في أبسط تعريفاتها مذهب لساني يهتم بدراسة اللغة وتحليلها عند الاستعمال على ألسنة الناطقين بها، فهي نظرية استعمالية تخاطبية تعالج شرط التبليغ والتواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء استعمال اللغة(٤). وتقدم التداوليّة طريقة لدراسة المعنى في ضوء علاقته بالمقام، ذلك المعنى الذي يتغير بحسب تغير المقام ومقتضى الحال، وكذلك بحسب السياق والتحديدات السياقية التي تمثل قطب الرحى في الدرس التداولي(٥).

(١) بوجادي، خليفة، **في اللسانيات التداولية**، بيت الحكمة للنشر – الجزائر، ٢٠٠٩، ص١٥٤.

(٢) أعراب، الحبيب، **الحجاج والاستدلال الحجاجي**، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، اشراف حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، عمان،٢٠١٠، ١: ٦٢٦-٣٢٧.

(٣) عبد الرحمن،طه، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٥، ٢٠٠٠، ص٦٥.

(٤) العمري، محمد، **تكامل المعارف، اللسانيات والمنطق، دراسات سيمائية لسانية أدبية**، المغرب، ع٢، ١٩٨٧، ص١٨.

(٥) مثلاً لفظ (أحسنت) يتغير مدلولها من منظور تداولي عن دلالاتها الحرفية وفق السياق ووفق استعمالها في الجماعة اللغوية، فقد تعني الاستحسان وقد تعني في سياق آخر السخرية والاستهزاء وهكذا. لمزيد من التفاصيل راجع لهوميل، باديس، **التداولية والبلاغة العربية**، مجلة المخبر، جامعة محمد خضير، بسكرة – الجزائر، ع٧، ٢٠٠١، ص١٦٥-١٧١.

إنّ الأخذ بدور السياق التداولي راسخ في البلاغة العربية ،حتى إننا نجد مفهومه ملازماً لمفاهيم البلاغة متضّمناً بما يسمى مقتضى الحال ،على أساس أنّ الكلام يكون طبقاً لما اقتضته حاله بحسب أنواع المقامات إذ " مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية،...ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"(١).فالبلاغة العربية بلاغة تداولية في أساسها، ولكن يحصل أن يخرج الكلام عن مقتضى الظاهر والحال، ويؤتى به لا على مقتضى الحال لاعتبارات خطابية ومقامية، وفي هذه الحال نكون إزاء عدول صريح مثل ما يقع في الأسلوب الحكيم، وبإخراج الكلام على مثل هذه الصورة في العدول والانزياح، يحدث العدول عن الطريقة المعتادة في جعل الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، وهذا يصدق على تعريف الأسلوب الحكيم الذي قدّمه ابن كمال باشا عندما نظر الى الأسلوب الحكيم أنّ: "مرجعه إلى العدول في الجواب عن موجب الخطاب، لحكمة شريفة يقتضيها المقام، أو نكتة لطيفة يرتضيها ذوو الافهام"(٢).

مبادئ التداولية وضبط العلاقة التخاطبية:

إنّ أي علاقة تخاطبية بين طرفين تستلزم، بالضرورة، إلقاء جانبين لأقوال وأفعال، وعملية التخاطب في حوارات الأسلوب الحكيم تتحدد بوجهي عملتها: التواصل والتعامل؛ فالتواصل مقرون بالأقوال بين المتخاطبين، ولضبط هذه الأقوال ثم استحداث قواعد تحدد وجه الفائدة الإخبارية أو التواصلية اصطلح على تسميتها "بقواعد التبليغ". أما التعامل فهو مربوط بالأفعال، وحتى تُضبط هذه الأفعال بقواعد تحدد وجه استقامتها الأخلاقية أو التعاملية اصطلح على تسميتها "بقواعد التهذيب"(٣). ولما كان فرع التداوليات من اللسانيات الحديثة متخصص بدراسة الاستعمالات اللغوية في تعلقها بمقامات الكلام، اضطلع هذا الفرع بالنظر في موضوع التخاطب في كلا وجهيه. ومن أهم المبادئ التداولية التي تضبط العلاقة التخاطبية

أولاً: مبدأ التعاون عند باول غرايس paul Grice:

يمثل غرايس علماً مهماً من أعلام التداولية الأوائل، وقد رسخ "مبدأ التعاون" The cooperation principle في مقاله "المنطق والمحادثة" Logic and Conversation الذي عُدّ المبدأ التداولي الأول للتخاطب، إذ يشكل هذا المبدأ عند غرايس العمود الفقري للنشاط الكلامي، والمنظم لطرق المحادثة، ومفاده أنّ على أطراف الحوار أن تتعاون فيما بينها لتحصّل

(١) السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص١٦٨.

(٢) ابن كمال، باشا، **رسالة في بيان الأسلوب الحكيم**، ص٩١.

(٣) عبد الرحمن، طه، **اللسان والميزان** ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨، ص٢٣٧.

المطلوب، بمعنى أنّه يوجب أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار الذي دخلا فيه. وأكدّ غرايس أنّ الحوار لا تقوم له قائمة إلا إذا احترم المتخاطبان مبدأ أولياً مفاده: "ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتجاه المرسوم للحوار الذي اشتركت فيه"(١).

ولضمان ضبط مبدأ التعاون وضع غرايس لهذا المبدأ أربع قواعد وهي: قاعدة الكم، وقاعدة الكيف، وقاعدة الملاءمة أو المناسبة، وقاعدة الصيغة أو الجهة (٢)، ورأى أنّه على المتخاطبين أن يحترموا هذا المبدأ بطريقة عقلانية ومتعاونة في إنتاج الكلام وتأويله، وبناء على هذا المبدأ العام صاغ غرايس قواعد فرعية متعلقة بمبدأ التعاون وهي:

قاعدة الكم: (Maxim of quantity) تتصل بكمية المعلومات التي يتم تقديمها وتندرج ضمنها قاعدتان: أ- ليكن إسهامك مفيداً على قدر الحاجة والطلب/ ب. لا تجعل إسهامك يتعدّى المقدر المطلوب.

ويُفهم من ذلك أن يكون الكلام على قدر كبير من الدقة إذ ينقل المطلوب، ولا يدعو السامع إلى التأويل أو الاحتمال الذي قد ينتج عنه تعدد المعنى، وأن تكون الألفاظ على قدر المعاني دون زيادة أو نقصان وهو ما عرف في البلاغة بأسلوب المساواة.

قاعدة الكيف: (Maxim of quality) حاول أن تكون صادقاً في تدخلاتك، ويندرج معها: أ- لا تقل ما تعلم كذبه/ ب- لا تقل ما ليس لك عليه بيّنة أو دليل أو لا تستطيع البرهنة عليه. علماً أنّ المقصود بالكذب هنا الخروج عن السياق الطبيعي وذلك باعتماد الاستعارة أو الكناية أو السخرية أو التورية.

قاعدة الملاءمة: (Maxim of relation) وتتلخص بأن يجعل المتكلم تدخلاته تناسب المقام، ويندرج تحتها: أ- ليناسب مقالك مقامك.

قاعدة الأسلوب أو الجهة (Maxim of manner) وتتصل بكيفية القول وتقوم على قاعدة كبرى "كن واضحاً" ويندرج تحتها: أ- تجنب الالتباس واعتمد صحة المعنى وفصاحة اللفظ/ ب- تكلم

(١) Brian parltridge, Discourse analysis: An introduction,BloonsBury-london,2nd edition,2012.p44، وانظر عبد الرحمن، طه، **في أصول الحوار**، ص١٠٣.

(٢) Brian parltridge, Discourse analysis:An introduction،P44-46 ، وانظر: عبد الرحمن ،طه، المرجع لسابق،٢٣٠-٢٣٩. حاتم عبيد، **نظرية التأدب**، ص١١٨-١١٩. خديجة بوخشة، **محاضرات في اللسانيات التداولية**، مستوى السنة لثالثة ، الرابط www.elearning.univ-jijel.dz، ص٤٠-٤٦.

بإيجاز/ ج- اجعل كلامك منظماً ومرتباً بمعنى ليكن كلامك منظماً ضمن ما يقتضيه أصل التعبير في الجملة النحوية وليس البلاغية/ د- تجنب الغموض وإبهام التعبير كاستعمال الكناية مثلاً.

وضمن نظرية المحادثة أشار غرايس إلى مفهوم مهم يعدّ من أهم المفاهيم التي تتم بها النظرية التداولية وهو: مضمنات القول أو القول الضمني (conversationa implicature) [١]. ذلك أننا كثيراً ما نقصد أكثر مما نقول، بمعنى أننا نضمّن في قولنا أموراً لا نذكرها بصريح العبارة، وهذا ما يُدعى بـ"متضمنات القول"، ويحدث ذلك تحديداً عندما نستعمل الكلام على سبيل السخرية أو على وجه المجاز أو التورية، فإنّ أي حديث أو حوار بين شخصين يحمل جانباً صريحاً وآخر ضمنياً يُفهم عن طريق السياق الذي يرد فيه والمقام الذي أنجزه، "والتداوليون على اختلافهم يُجمعون على أن الإخبار لا يتم بالتصريح فقط ويعود ذلك إلى وجود العديد من المحظورات التي تمنع المتكلم من التصريح، وهذه المحظورات قد يكون مصدرها المجتمع، مما يحتويه من أخلاق وعادات ودين أو سياسة ... وينعكس ذلك على اللغة باعتبارها وليدة المجتمع"[٢].

وتعرّف أوركيوني القول الضمني أو المضمر أنه "كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث"[٣]. ومن هنا يسعى المتكلم لإحداث أثر في المستمع معوّلاً في ذلك على قدرة هذا السامع على الوصول إلى ذلك المقصد بفضل وسائل الاستنباط وما يتوافر له من معارف مشتركة بمواضعات الاستعمال، يكون لها دور مهم في التّعرف على ما يتضمنه الملفوظ من استلزامات أو معنى مضمّن يسعى المتكلم الى إيصاله [٤]،

الخروقات لمبادئ التعاون عند غرايس:

يفترض غرايس أنّ المتخاطبين المساهمين في المحادثة يحترمون "مبدأ التعاون" بأن تكون مساهمتهم بطريقة عقلانية ومتعاونة، ولكن يضطر المتكلم أو المخاطب أحياناً إلى خرق قواعد التعاون عند التواصل والمحادثة، مع حرصهما على حفظ مبدأ التأدّب، وعند حدوث الخرق أو الانتهاك

(1)Brian parltridge, Discourse analysis:An introduction,p50

(٢) بلخير، عمر، **تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية**، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٣، ص١١١.

(٣) صحراوي، مسعود، **التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي**، دار الطليعة ،بيروت ٢٠٠٥، ص٣٢.

(٤) عبيد، حاتم، **نظرية التأدب**، ص١١٧. وانظر حمداوي، جميل، **نظريات الحجاج**، شبكة الآلوكة www.alakah.net، ص٥٤-٥٥.

يسعى المتكلم للتعبير عن أفكاره بأسلوب غير صريح، معتمداً على المعاني الضمنية والمجازية في الخطاب، ويكون هنا "التقاط المعاني المضمنة في الملفوظ يتم بالاستناد إلى جملة من المعطيات نذكر منها كلاً من السياق المقالي والسياق المقامي والخلفيات المعرفية بين المتخاطبين، والمعاني الاصطلاحية للكلمات، ومبدأ التعاون والقواعد الأربع المتحدرة منه"(١).

وعند حدوث الخرق أو الانتهاك لقواعد التعاون، يدخل الخطاب ضمن نظرية الحجاج، وهنا "تتجلى الوظيفة الحجاجية لهذه المبادئ والقواعد حين يقوم المتكلم أو المخاطب بخرق مقصود أو ظاهري لأحدهما على الأقل، فيضطر المخاطب إلى القيام بعمليات استدلالية ذهنية [أي يصرف الكلام عن ظاهره، ويبحث عن المعنى الخفي بحسب ما يقتضيه السياق والمقام] يعيد للتواصل انسجامه، انطلاقاً من احترام المتكلم الواجب لمبدأ التعاون"(٢).

إنّ واقع التخاطب، وفق غرايس، يشهد على أن المتكلم ينتهك قواعد المحادثة أكثر مما يحترمها، معولاً في ذلك على مبدأ الاستلزام التحادثي الذي يمكّن السامع من استنباط معلومة مفيدة، ومن ثم يمكّنه أن يدرك مقاصد المتكلم الذي يسعى بدوره لتحقيق فائدة بعيدة وغاية شريفة، فإنه ما من انحراف أو عدول عن النجاعة في تبادل المعلومات بين المتخاطبين والعقلانية التي تتسم بها المحادثة إلا ووراء ذلك الانتهاك والخرق أسباب تبرره(٣)، وقد كشف ابن كمال باشا عن أسباب ومبررات الانتهاك قائلاً: "لحكمة شريفة يقتضيها المقام أو نكتة لطيفة يرتضيها ذوو الأفهام"(٤) وفي هذا إشارة واضحة إلى أسباب العدول في الخطاب والخرق لقواعد التعاون؛ لأن المتكلم لا يلجأ إلى استنباط المعنى المضمّن في الخطاب إلا عند حدوث خرق في الخطاب وانتهاك لقواعده، في ثقة من المتكلم بأن سامعه قادر على استنباط المعنى بحسب سياقه ومقامه التداولي. وقد تمت الإشارة سابقاً إلى أنّ هذه "الحكمة الشريفة" أو "النكتة اللطيفة"، التي تقف وراء سعي المتكلم للعدول في خطابه وتجنب الصدق فيه، أو للحصول على تأييده وكسب ثقته أو ما شابه ذلك تتمثل إما في الخوف من السلطة، أو لحفظ ماء الوجه عن موضوع يهدده، أو موضوع لا يرغب بالحديث عنه بشكل مباشر، أو لدفع الضرر والأذى عنه، أو لكسب رضا وود من يخاطبه. ويكون انتهاك قاعدة الكم بخروج المتكلم أو السامع عن الشروط التي تضبط هذه القاعدة كأن يكون في كلامه زيادة أو نقصان عن القدر المطلوب، أو يوقع المتلقي في حالة من التأويل للمعنى والقيام بعمل استنباطي يفهم منه انتهاك المتكلم للقاعدة.

(١) عبيد، حاتم، **نظرية التأدب**، ص١٢٠.

(٢) أمغار، إبراهيم، **علاقة الحجاج بالكفايات**، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ١: ٨٨٧.

(٣) عبيد، حاتم ، **نظرية التأدب**، ص١٣٠.

(٤) ابن كمال باشا، **رسالة في بيان الأسلوب الحكيم**، ص٩١.

أما قاعدة الكيف فيتم انتهاكها بالخروج عن الشروط التي تضبطها، إذ يتم ذلك عن طريق عدد من الوجوه البلاغية مثل: الاستعارة، والكناية، والسؤال البلاغي، والنقد، وأسلوب السخرية، والتورية؛ فالاستعارة، مثلاً، تخرق القاعدة إذ عادة ما يكون معناها الحرفي مجافياً للحقيقة، فيضمّن المتكلم الاستعارة معاني خفية كقولنا (لسانك يغزل الحرير) فهذه جملة استعارية تحتمل معاني استلزامية يقتضيها السياق: إما إطراء للمتكلم أو نقد له أو تهكم وسخرية. والسؤال البلاغي كذلك فيه انتهاك لقاعدة الكيف ما دامت الغاية فيه ليست الحصول على جواب بل إنجاز عمل لغوي مثل الاعتذار، مثل: (كيف لي أن أعرف ذلك) فالسؤال هنا يتضمن معنى استلزامياً غير المعنى الحرفي المعلن وهو الاعتذار عن المعرفة [١].

أما قاعدة الملاءمة فيتم انتهاكها بالخروج عن شرطها الخاص بمناسبة المقال للمقام ويقصد به عدم الملاءمة بين سياقات التعبير أو عدم الملاءمة بين منطوق الخطاب وحال المتلقي له وهو ما يُعرف بالخروج على مقتضى الظاهر من الخطاب، وأغلب أمثلة الأسلوب الحكيم تصبّ في هذا المضمار. أما قاعدة الأسلوب فتُنتهك بالخروج على شروطها كأن يتوخى المتكلم الغموض حتى يُخفي مقصده، ويقلل من الخطر الناجم عما هو بصدد إنجازه.

وفي عودة متأنية لتعريف الأسلوب الحكيم نجده يمثّل، وبوضوح، صور الخرق والانتهاك لقواعد غرايس التعاونية ،كما نجد في أمثلته حضوراً واضحاً لآليات التداول مثل: القول المضمّن ،والاستلزام التحادثي، وخاصية المقام، فابن كمال باشا يشير في مطلع رسالته إلى أنّ الأسلوب الحكيم هو عدول في الجواب عن موجب الخطاب[٢]، فموجب الخطاب هو احترام مبدأ التعاون والالتزام به لتحقيق النجاعة والصدق المتمثلة فيه، وما صورة العدول في الجواب إلا شاهد عيان على الانتهاك والخرق لتلك القواعد، واللجوء إلى أفعال كلامية غير مباشرة للحديث، تحوي معاني استلزامية مضمنة فيه.

ثانياً: مبدأ التأدّب وحفظ الوجه في الخطاب

من المبادئ التداولية التي وضعها الباحثون لتكون سنداً لمبدأ التعاون، خاصة عند خرقه وانتهاكه مبدأ "التأدّب"، ومبدأ "ماء الوجه" (politeness and face in discourse) أما التأدب فيُعرّف بأنّه "مجموعة استراتيجيات يمكن للمتكلم استخدامها حتى يتجنب، ما يمكن أن يحدث بينه وبين شريكه في

(١) ميز غرايس بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة وقصد بغير المباشرة: أن يرمي المتكلم من خلال قوله إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي مثلما هو في السخرية والاستعارة حيث يعتبر الاستعارة والمجاز فعلاً كلامياً غير مباشر.

(٢) ابن كمال باشا، **رسالة في بيان الأسلوب الحكيم**، ص٩١.

الكلام من صدام مرتقب[١]. ويحتوي هذا المبدأ على قاعدتين كبيرتين ضمن كفاءة المتكلم التداولية: كن واضحاً – كن مؤدباً. وقد فرعت روبين لايكوف Robin Lakoff ضمن مبدأ التأدب ثلاث قواعد :قاعدة التعفف[٢]، وقاعدة التشكك أو التخيير[٣]،وقاعدة التودد بإظهار الود والطمأنينة للمخاطب. وضمن هذا المبدأ أشار ليتش Leitch إلى التأدب السلبي ومفاده: "قلل من الكلام غير المؤدب"، والتأدب الايجابي ومفاده: "أكثر من الكلام المؤدب" [٤].

أما مبدأ التواجه أو "ماء الوجه" فيُصاغ هذا المبدأ بـ ."لتصن وجه غيرك"[٥] والوجه هو تلك القيمة الاجتماعية التي يدّعيها الفرد لنفسه. وفي ضوء هذا التصور قُسّم ماء الوجه إلى قسمين: ماء الوجه السلبي (Negative face)، وماء الوجه الإيجابي (Positive face) [٦].

إنّ من مصلحة المتحاورين أن يحافظ كل منهما على ماء وجه الآخر، إلا أن بعض الأفعال الكلامية التي يتبادلها المتكلمون تكون مهددة لماء وجه المتكلم أو المخاطب، وفيه يحاول المتكلم أن يسلك مسلك مغاير بطريقة غير مباشرة للتقليل من حدة تلك الأفعال ولصيانة ماء وجهه، ويمكن أن نستنبط من هذا المبدأ قانون الحذر الذي يقتضي عدم طرح الأسئلة التي لا نرغب الإجابة عنها، أو عدم قول أي شيء لتفادي التعقيدات، وضمن قانون اللياقة يحاول المتكلم تفادي الظواهر التخاطبية الأكثر كشفاً للمقاصد أو القابلة لأن تصدم الآخرين انطلاقاً من مضمونها الخاص أو من صياغتها[٧].

---

(١) عبد الرحمن، طه، **اللسان والميزان**، ص٢٤٠. وانظر :Brian parltridge, Discourse analysis: An introduction, p52

(٢) خلاصتها لتبق متحفظًا ولا تتطفل على شؤون الآخرين، ولا تفرض نفسك على المخاطب، ولا تتدخل في شؤونه الخاصة. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، **استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية)**، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠٤، ص١٠٠.

(٣) عدم استعمال أساليب الجزم والالحاح والتقرير معه والأخذ بأساليب الاستفهام كما لو كان متشككاً في مقاصده. طه عبد الرحمن، **اللسان والميزان**، ص٢٤١. وانظر طلحة، محمود، **تداولية الخطاب السردي**، جدار للكتاب العالمي، ٢٠١٢، ص١٢٤.

(٤) عبد الرحمن، طه، **اللسان والميزان**، ص٢٤١– ص٢٤٧.

(٥) طلحة، محمود، **تداولية الخطاب السردي**، ص١٢٤.عبد الرحمن، طه، **اللسان والميزان**، ص١٤٣.

(٦) إمغار، ابراهيم، **علاقة الحجاج بالكفايات**، ١: ٨٨٩.ماء الوجه السلبي: ومداره رغبة الفرد ألا تجد أعماله عرقلة عند الآخرين، مع رغبته بالاستقلال عنهم والشعور بحريته. وماء الوجه الإيجابي رغبة الفرد أن يحب الآخرون ما تحبه نفسه، وأن يحصل على تقديرهم واستحسانهم واعترافهم برغباته. انظر Brian parltridge, Discourse analysis:An introduction,p52

(٧) الحاج، ذهبية حمو، **قوانين الخطاب في التواصل الخطابي**، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة شيزي دزو، دار الأمل، ع٢، ٢٠٠٧، ص٢٢٩ نقلاً عن خديجة بوخشة، **محاضرات في اللسانيات التداولية**، ص٤٨.

الجانب الإجرائي / التطبيقي:

شواهد الأسلوب الحكيم في خرق قاعدة الكيف: دراسة تداولية:

مثّل البلاغيون لخرق قاعدة الكيف في الأسلوب الحكيم ما وقع بين الحجّاج بن يوسف الثقفي والقبعثري عندما قال له الحجاج متوعداً إياه لأحملنك على الأدهم. فقال القبعثري: مثل الأمير يُحمل على الأدهم والأشهب. فقال الحجّاج: ويلك إنّه لحديد. فقال القبعثري: أن يكون حديداً خيرٌ من أن يكون بليداً(١). فالنص يؤشر، والحقيقة كذلك، على خرق أحد مبادئ التعاون لدى غرايس وهو مبدأ الكيف الذي أظهر فيه المخاطَب عدم الالتزام بالصدق في إجاباته، وقد تجلى الخرق لهذا المبدأ عن طريق توظيف خاصية بلاغية هي "التورية"، ويُقصد بها أن يُطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويُراد به البعيد منهما(٢). ونجد التورية ماثلة في كلمتي "الأدهم" و"حديد"، إذ تحمل الكلمتان معنيين: المعنى الأول هو القريب غير المراد، وقد جاء على لسان الحجّاج، إذ عنى بالأدهم في قوله "لأحملنّك على الأدهم" القيد الذي هو حديد، فالقيد يُسمى الأدهم لسواده. وعنى بكلمة حديد في قوله "إنه لحديد" المعدن المعروف، وقد دَلّ على هذين المعنيين سياق الكلام، الذي أراد به الحجّاج إبراز صورة الوعيد بأن يعاقب القبعثري على فعلته بأن يقيده بالحديد. وقد تمثلت صورة الوعيد بالفعل "لأحملنّك"، فهو فعل كلامي إنجازي– بحسب نظرية الأفعال الكلامية لأوستن–(٣) فيه تهديد واضح لماء وجه القبعثري، ووعد من الحجّاج لإنجاز لفظه بفعل التقييد بالحديد.

(١) أصل القصة: أن القبعثري كان جالساً في بستان مع جماعة من إخوانه في زمن الحصرم –أي العنب الأخضر– فذكر بعضهم الحجاج. فقال القبعثري: اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه، فبلغ ذلك الحجاج فقال: "أنت قلت ذلك؟ قال: نعم. ولكن أردت العنب الحصرم ولم أردك–ويريد بتسويد وجه العنب استواءه، وبقطع عنقه قطفه وبدمه الخمر المتخذ منه. يُنظر: الحموي، ابن حجة، **خزانة الأدب وغاية الأرب** تحقيق كوكب دياب، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥، ٢: ٢٧٠. العسكري، **جمهرة الأمثال**، دار الفكر، بيروت، ١: ٣٥.

(٢) السيوطي، **شرح عقود الجُمان في علم المعاني والبيان**، تح ابراهيم الحمداني وأمين الحبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١، ص١١٢.

(٣) أنشأ أوستن نظرية أفعال الكلام ،وملخصها أننا عندما نتلفظ بقول ما فنحن في الحقيقة نسعى لإنجازه، وأكدّ أوستن أننا حين نتلفظ بجملة ما، فإننا نقوم بثلاثة أفعال: فعل التلفظ، وفعل قوة التلفظ: أي حين يتلفظ المتكلم بقول فهو ينجز معنى قصدي. وفعل أثر التلفظ. للتفاصيل انظر: الرقبي، رضوان، **من البلاغة الى التداولية: دراسة تحليلية**، عالم الكتب الحديث، اربد، ٢٠١٨، ص٢٦–٢٨.

أما المعنى الثاني فهو المعنى البعيد وهو المراد الذي تحقق به الأسلوب الحكيم، وقد جاء على لسان القبعثري، الذي حاول بإجاباته أن يسلك مسلكاً متغيراً بطريقة غير مباشرة ،فقد عنى بالأدهم في قوله: "مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب"، الفرس الأدهم الذي غلب سواده على بياضه، وبذلك أبرز القبعثري وعيد الحجاج في صورة الوعد بالحمل على الأدهم فتلقاه بذلك بغير ما يترقب، بسبب حمل الأدهم في كلامه على الفرس، ثم أكد ذلك الحمل بما يناسبه من ذكر (الأشهب) وهو صفة للفرس كذلك، فكانت هذه الكلمة قرينة لفظية على أن المراد من الأدهم هو الفرس وليس القيد. وعنى بكلمة حديد في قوله: "أن يكون بليداً خير من أن يكون حديداً"، صفة للفرس ذي الحدّة والمتانة، وذلك تخطئة له، وحمله على الوعد لا الوعيد. مع أنّ الحجّاج استعمل مع القبعثري أسلوب التهديد بقوله "ويلك" مُتبعاً أسلوبه التهديدي بجملة خبرية تحمل توكيداً لما ذهب اليه بقصده من الحديد المعدن المعرف قائلاً: "إنّه لحديد"، إلا أنّ القبعثري استعمل قانون الحذر ومراوغة الأمير بهذا الأسلوب الحكيم، وفي ذلك تأكيد أنّه في مثل هذه الحالة "من المستحسن إنجاز العمل على نحو يُفسح مجالاً واسعاً للتأويل، حتى لا يحتمل العمل مقصداً تواصلياً بعينه، وحتى يجد المتكلم فرصة للتنصل من التبعات الناجمة عن أي تأويل يجعله طرفاً مسؤولاً عما يمكن أن يلحق السامع من خطر. فالسعي لتحميل العمل أكثر من تأويل آلة دفاعية يتوخاها المتكلم كي يتسنى له .... التخلص من المسؤولية وإلقاء العهدة على السامع في كل تأويل يذهب إليه"(١).

وتُظهر هذه المحاورة كذلك خرقاً لمبدأ آخر من مبادئ غرايس وهو مبدأ الأسلوب، إذ لجأ القبعثري بإجاباته إلى الغموض واللبس في الألفاظ، فحمّلها غير معنى، لأن من شروط قواعد التعاون تنظيم الكلام وترتيبه والابتعاد عن الغموض واللبس فيه.

إنّ ما يميز هذه المحاورة ردود القبعثري، الذي سعى لتحقق مبدأ التأدب مع الحجاج رغم خرقه لأحد قواعد التعاون، سعياً منه لإيصال الحجّاج لوجهة غير الوجهة التي يطلبها، إذ من شروط تحقيق النجاعة في استخدام التأدب في الأسلوب الحكيم أن يُظهر المتكلم لباقة وقدرة على عدم مجابهة المخاطب بالرأي المخالف، وعلى تجنب التوتر الحاصل بينهما أثناء التفاعل، فيكون الحل في أن يصرف المتكلم مخاطبه بقدر من اللياقة عن ذلك الموضوع إلى موضوع آخر ،ويدفعه إلى صرف نيته إلى نية أخرى بأسلوب حكيم يحفظ به ماء وجهه الإيجابي، بحسب مبدأ التواجه أو المواجهة.

ومثل هذه الخروقات في عدولها عن موجب الخطاب أراد بها القبعثري، بلباقته التخلص من الموقف خوفاً من العقوبة، والتركيز على الأنفع والأولى والأليق لمخاطبه في وضعه الاجتماعي،

(١) عبيد، حاتم، **نظرية التأدب**، ص١٤١.

كأمير في مثل هذا المقام، إذ يمتلك زمام العفو والصفح عند المقدرة، فالأولى بالقصد هنا "منظور فيه إلى حال المتكلم –وهو الأمير– ولو كان قصده إلى أنه الأولى بالقصد نظراً إلى المخاطب لقال مثلي يُحمل على الأدهم والأشهب"(١).

إنّ أي خرق لأحد قواعد التعاون، تحقق في الخطاب أمرين: أولاً تجعل المتكلم يخفي مقصده الحقيقي أو المعنى الضمني خلف قصد ظاهر، فيبدو وكأنّه قناع سطحي لذلك القصد الخفي، فيضمّن في قوله أموراً لا يذكرها بصريح العبارة، بل يعبر عنها بأسلوب غير مباشر، يمكن فهمها من خلال مقام التكلم. والمعنى الضمني الذي أراده القبعثري أنّه من كان مثل الحَجّاج وعلى صفته في السلطان وسعة النعمة والكرم، جدير بأن يُصْفَد أي يعطي الخير وهو خلق ذوي السلطان، لا أن يَصْفِد أي يقيد ويوثق. ثانياً تجعل الخطاب يهدف الى حكمة بلاغية شريفة يقتضيها المقام أو نكتة لطيفة يرتضيها ذوو الأفهام(٢)، وقد عبّر ابن حجة الحموي عن هذه الحكمة او النكتة بقوله: "وفي هذا ما لا يخفى على المتأدب من حسن التلطف، وشدة الباعث على فعل الخير، إذ لا يليق بمن له همة عالية أن يُقال له:" مثلك من يفعل الخير" فيقول: "لا بل أفعل الشر"(٣).

لقد استطاع القبعثري أن يسخّر خاصية "التورية" لتكون معبرهُ إلى الأسلوب الحكيم وليقلب بها كفة الميزان، فيحمل الوعيد على الوعد بتلقّي كلام الحجّاج بغير معناه. وفي هذا ما يؤكد على العلاقة المتينة بين الأسلوب الحكيم والتورية، فهي علاقة مبنية على التآزر والتعاضد وليس على التبادل، "فالتورية بناء على هذا وسيلة المتحاورين إلى الأسلوب الحكيم، ولا يعني وجود التورية مع الأسلوب الحكيم أنها بديلة له، وإنما لكل منهما اعتباره، وكل منهما أصلي"(٤).

إنّ قصة القبعثري مع الحجاج تبين ما يحمله العدول في الخطاب أو خرقه من سحر ولباقة "فالأسلوب الحكيم، لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور وأبرزه في معرض المسحور"(٥)، وهو بهذا السحر والجمال يملك القدرة على الإقناع وتغيير وجهات النظر، ودليل

(١) الاسفرائيني، عصام الدين، **الأطول**، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠١، ص٤٢٤.

(٢) ابن كمال باشا، **رسالة في بيان الأسلوب الحكيم**، ص٩١.

(٣) الحموي، ابن حجة، **خزانة الأدب**، ص٢٧٠.

(٤) الهلالي، سعيد، **الأسلوب الحكيم دراسة تاريخية فنية**، ص١٢٢.

(٥) السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص٣٢٧.

ذلك أن الحجاج الآن شكيمته لذلك الخارجي وسل سخيمته التي آثر أن يُحسن على أن يسيء، فصفح عنه وأحسن اليه عندما سحره بهذا الأسلوب(١).

ومن شواهد خرق مبدأ الكيف في الأسلوب الحكيم قول الشاعر ابن حجاج (٢):

قال: ثقّلتُ إذ أتيتُ مراراً قلتُ ثَقّلتَ كاهلي بالأيادي
قال: طوّلتُ قلت: أوليتَ طَولاً قال، أبرمتُ، قلتُ: حبل ودادي

يؤخذ البيتان شاهداً على الأسلوب الحكيم في "تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده"، فالمتكلم يبين لمضيفه أنه قد أثقل عليه بأعباء الضيافة، وقد أضجره وأمله بطول إقامته، فيأتي الجواب بغير ما يتوقعه المتكلم، مُحمّلاً بأقصى غايات التأدب ويحمل خرقاً واضحاً لقاعدة الكيف عن طريق استثمار خاصية "التورية"، كما يحمل البيتان خرقاً لقاعدة الوضوح في الأسلوب بما تحمله الكلمات من غموض ولبس في الدلالة، تُدخل المتلقي في مجال التأويل للملفوظات، والبحث عن المعنى المضمر فيها، فكلمة "الأيادي" تحمل معنىً قريباً وهو اليد المعروفة وهو ليس المعنى المراد، كما تحمل معنىً بعيداً وهو النِعم والمعروف، وهو ما أراده المضيف تأدباً مع ضيفه، ففي البيت الأول "أخذ المخاطِب ظاهر كلام صاحبه، وحمله على غير مراده به، إذ أراد بالتثقيل ما يحمله المضيف من أعباء الضيافة، لكنّ المضيّف حمله على معنى أن صاحبه ثقل كاهله بأياديه في تكرير زيارته له"(٣). وفي البيت الثاني نجد كلمتي (طوّلت، أبرمت) محمّلتين حمولة لغوية أبعد من المعنى القريب الواضح منهما، مستغلاً في ذلك بلاغة التورية؛ فالفعل "طوّلتُ" فعل إنجازي، بحسب نظرية أوستن، يشير الى هدف النص المضمر بمعنى أفضلت أي أعطيت فضلاً، وهو بذلك يخفي تأكيداً لصدق العبارة، وهو الفضل والمنّة التي هي وظيفة النص المضمرة، بينما قصد بها المتكلم طول الإقامة. والفعل "أبرمت" فعل إنجازي يشير كذلك إلى هدف النص المضمر، إذ حمّلها المضيف على معنى إبرام حبل الوداد، بينما قصد بها المتكلم أضجرت وأنزلت الملل.

إنّ العدول المتحقق في الجواب عن مقتضى الظاهر، من ورائه غاية شريفة وغرض بلاغي هي إظهار التأدب مع المخاطَب، وأنه ضيف مرحّب به في أي وقت، فحملت الكلمات مقصداً استلزامياً مضمراً فيه مراعاة لحال السائل. ومثل هذه المعاني الاستلزامية يُعبّر عنها بأسلوب غير مباشر؛ لأنّ

(١) **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

(٢) الحموي، ابن حجة، **خزانة الأدب**، ٢: ٢٧١.

(٣) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، د.ت، ٤٩٨-٤٩٩.

مثّل هذا الاستخدام يوفر للمخاطب إمكانات في القول واسعة، ويترك المجال للسامع إلى القيام بفعل استنباطي حتى يدرك مقصد المتكلم المضمّن في الملفوظ مستعيناً بذلك بعدد من القرائن. وفي ذلك دليل على ما تؤديه المقصدية = من دور بارز في تأويل الملفوظات باعتبارها صادرة عن شخص قد لا يُصرّح عن مقاصده إلا قليلاً.

ومن شواهد الخرق قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ {١٢} يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ {١٣} ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[١] فظاهر الآية القرآنية يتشكل عبر سؤال لسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– من الكفار عن تحديد زمان يوم الدين، بدليل اسم الاستفهام (أيّان) الذي يدل على الزمان، فكان من المفترض أن تأتي الإجابة محددة لذلك الزمان ،لكن تأتي المفاجأة بإتيانها مُحدِّدة وصف ذلك اليوم وليس زمانه، فهو يوم تعذيبهم وحرقهم بالنار بدليل قوله تعالى ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾، فالجواب معدول عن مقتضى ظاهر السؤال، فتلقوا بغير ما يتطلبون من إجابة لغرض بلاغي سيحدده السياق ومقام التكلّم.

تمثّل الآية خرقاً واضحاً لمبدأ الكيف عن طريق وجه بلاغي جديد هو السخرية (IronY)، ذلك أنّ السخرية تنهض على قول كلام يراد به عكس ظاهره، ويستند السامع في الوصول إلى مقصد المتكلم إلى عدد من الإشارات والمعطيات السياقية والمقامية، فسؤال الكفار لسيدنا محمد–صلى الله عليه وسلم– عن موعد يوم القيامة يغدو عادياً، ولكن عند استحضار سياق القول المتمثل في مقام نزول الآيات، نجد أنّ التعبير عن المعنى الذي ينوون إبلاغه فيه سخرية، فهم يسألون من باب التهكّم، تكذيباً منهم واستبعاداً وشكاً بذلك اليوم، ولمعرفة الله بخفايا نواياهم تلقى كلامهم بغير مرادهم، وعدل عن الجواب تهديداً لهم وتنكيلاً بهم بما سينتظرهم من العذاب على سخريتهم، ففي الجواب ما يشفي تهكّمهم.

إنّ مبدأ السخرية يستند إلى مبدأ التأدب ويستغله في ذات الوقت، فظاهر السخرية في الملفوظات يجعله تأدباً يتم إظهاره على حساب قاعدة من قواعد التعاون، ولكن باطنها فيه وقاحة وتهكم وإنجاز عمل لغوي يسيء إلى السامع ،إذ يُستند في معرفة ذلك المقام الواضح من المعرفة المسبقة لحال الكفار واستهزائهم بأمور الدين، وبحدوث فعل الخرق لمبدأ الكيف يستلزم الخطاب معنىً استلزامياً مضمراً، تمثّل في أنّ الأولى بحالكم أيها الكفار والأنفع لكم أن تؤمنوا وتصدقوا بذلك اليوم لأنه آتٍ لا محالة، وسيكون عقابكم فيه وخيم، ففي الجواب مقتضى بلاغي هو التهديد والتقريع بهم.

(١) سورة الذاريات، الآيات ١٢–١٤.

شواهد الأسلوب الحكيم في خرق قاعدة الكم: دراسة تداولية:

تتلخص أمثلة الأسلوب الحكيم التي تتضمن خرقاً لقاعدة الكم في القسم الثاني منه والمختص بـ "إجابة السائل بغير ما يتطلب"، فحالات الجواب مع السؤال أن يكون الجواب أعم من السؤال وذلك بأن يتضمن زيادة عما في السؤال للحاجة إليها، علماً بأنّ السائل قد أغفلها"[١]، وهذه الحالة يتم فيها خرق أحد مبادئ التعاون وهو مبدأ الكم الذي يتلخص في أن يكون الإسهام في الكلام على قدر الحاجة والطلب، ولا يتعدى القدر المطلوب ،فلا يكون هناك نقصان أو زيادة في الكلام، ولا يدعو السامع إلى التأويل أو الاحتمال، ومن أمثلة ذلك ما ذكره العسكري في كتابه الأوائل أن يوسف بن عمر الثقفي الذي ولاه هشام بن عبد الملك على اليمن كان قصيراً، وإذا وصفه أحد بالقِصر اغتاظ، وكان الخياط إذا قال له: يقنعك هذا الثوب ويحتاج فيه إلى زيادة فرح وخلع عليه، وإذا فضل من الثوب شيء أمر بضربه وحبسه، وكان له نديم يُقال له عبدان. وكان من أطول الناس. فقال له يا عبدان: أنا أطول أم أنت؟ قال: فوقفت في محنة تحتها السيف، فقلت: أصلح الله الأمير، أنت أطول مني ظهراً، وأنا أطول منك ساقاً، فضحك، وقال: أحسنت[٢].

يتلخص مقتضى ظاهر السؤال بأيهما أطول عبدان أم الأمير، وكان مقتضى ظاهر الجواب أن يقول النديم أنا أطول، ولكن في مثل هذا الأسلوب الذي يُوصف صاحبة باللباقة والحكمة يُراعى حال المقام وسياق القول، انطلاقاً من معرفة طبيعة المتكلم والسامع ومكانة كل منهما اجتماعياً، بحسب ما تقتضيه مبادئ التداولية، فعبدان نديم الأمير وهو الأضعف اجتماعياً والأمير في مركز اجتماعي بيده مقاليد السلطة والحكم، وسؤال الأمير ليس عادياً فهو يعرف الإجابة، ولكن يرمي من ورائه لأمر ما، وجماع ذلك يجعلنا نفهم عدول النديم عن الإجابة وسعيه لتفعيل آليات التأدب والتّلطف في مقام الأمير، إذ إنّ الكلام يكون طبقاً لما اقتضته حاله بحسب أنواع المقامات، فإن أجاب على مقتضى الظاهر كان في ذلك حرج له وخطر على حياته، وهو يريد أن يرضي الأمير ويسلم من بطشه، فاقتضى الأمر أن يخرج عن مقتضى الظاهر ويعدل في جوابه، فاستعان بأسلوب حكيم مكنّه ذلك الأسلوب من عدم المواجهة مع الخصم، والنجاة من إنزال العقوبة، فكانت الإجابة "أنت أطول مني ظهراً" ليجعل الطول صفة معنوية يرمي بها إلى قصد التحمّل والمقدرة والطاقة، ثم بعد ذلك أجاب السائل عن سؤاله الذي يقصد به تحديداً أيهما أطول من الآخر، وفي ذلك التّصرف تأكيد على أنه "قد

(١) السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤، ٢: ٣٦٩.

(٢) العسكري، أبو هلال، **الأوائل**، دار البشير، طنطا، ١٩٨٧.، ص٢٥٥.

يقتضي الحال والمقام من الإنسان أن يُنزل بعض الناس منزلتهم عندما يكون في حضرتهم تأدباً معهم، وإجلالاً لهم وتعظيماً لمكانتهم، فيلجأ للعدول والخروج على مقتضى الظاهر، ليجيب السائل بخلاف مراده، لأن في إجراء الكلام على الظاهر ما لا يليق بالمقام ولا يدل على حسن الأدب مع هؤلاء"[١].

وبالنظر إلى جواب النديم نجده تضمن جواباً عن مراد السائل وتضمّن زيادة عليه، وذلك فيه خرق واضح لقاعدة الكم التي تفترض سلفاً أن يكون الجواب يتضمن قدراً من المعلومات يعادل ما هو ضروري في المقام ولا يزيد عليه، ونلحظ أنّ الزيادة متكئة على كلمة أطول التي وردت في السؤال، فمن الحكمة والاحتراز بما أجاب به النديم حتى يقطع دابر التوهم بأنّ المراد غير ما ورد في الجواب ويقصده المجيب. كما نجد في الجواب خرقاً آخر لأحد قواعد التعاون وهي قاعدة الملاءمة أو المناسبة، إذ يتجلى الخرق في عدم مناسبة المقال للمقام، فالسؤال كان عن أمر واقتضى الجواب أمراً آخر.

والعدول المتحقق في الجواب لزم عنه، تداولياً، مقصداً مضمّناً قصده المخاطب، لأنّه "إذا كان انتهاك قاعدة من تلك القواعد أمراً وارداً وشائعاً، فإن معرفة السامع بأن مبدأ التعاون محفوظ في كل الحالات، ولا يمكن انتهاكه هو الذي يجعله واثقاً بأن هناك مقصداً مضمناً في القول وفائدة بعيدة يمكن تحصيلها"[٢]. والمقصد المضمّن هو أنّ الأمير لا يقارن بأحد لمكانته ورفعته، كما أنّ لهذا العدول فائدة وغرضاً بلاغياً وهو "التخلص"، أي التخلص من الإحراج في الرد على الأمير الذي أراد أن يوقع نديمه فيه، وإبعاد نفسه عن المواجهة معه، من معرفته المسبقة أنّ الأمير كان يقتل بالمظنة. ومن اللافت بحسب المقام ومراعاته أنّ جواب النديم روعي فيه غرض السائل وصياغة السؤال، فغرض السائل تحقق في قوله "وأنا أطول منك ساقاً"، وهو جواب مطابق للسؤال فلا يدخل هذا الجزء في باب الأسلوب الحكيم، ولكن لا يمكن الاستغناء عنه لتوضيح العدول وغايته في النص، أما صياغة السؤال فهي التي أوحت للنديم بجوابه "أنت أطول مني ظهراً"، وما ساعد على هذا الفهم أنّ كلمة (أطول) اسم تفضيل من الطول ضد القِصَر وهي اسم تفضيل من الطول بمعنى التفضل، فالكلمتان متشابهتان في اللفظ ولكنهما مختلفتان في المعنى، وفي هذا ما يؤكد أنّ "الدور المناط بالتداولية هو جعل المعنى النحوي [والصرفي] للملفوظ بسبب من القوة التداولية التي يحملها[٣].

(١) أحمد، علي زواوي، **أسلوب الحكيم في القرآن الكريم دراسة بلاغية أسلوبية**، رسالة ماجستير، إشراف أ.د أحمد لخضير، جامعة قاصدي مرباح–ورقلة، الجزائر ، ٢٠٠٣ ص٦٣ – ٦٤.

(٢) عبيد، حاتم، **نظرية التأدب**، ص١١٩.

(٣) عبيد، حاتم، **نظرية التأدب**، ص١٢٣–١٠٤.

وما يلفت النظر في هذه المحاورة هو ردة فعل الأمير على جواب النديم، فقد "ضحك، وقال: أحسنت" وفي ذلك دليل على أنّ مثل هذا الأسلوب بما يحققه من خرق وانتهاك "لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور، وأبرزه في معرض المسحور"(١)، فمع علم الأمير بكذب النديم وتهربه من الإجابة إلا أنه أعجب بروعة أدائه وحسن تخلصه من الموقف وعظيم صنيعه.

ومن شواهد خرق قاعدة الكم في الأسلوب الحكيم ما روي عن أبي هريرة –رضي الله عنه–أنّ رجلاً سأل رسول الله–ص–قال: إنّا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله–ص–: "هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته"(٢).

فقد سئل النبي–ص–عن طهارة ماء البحر، وكان مقتضى الظاهر أن يكون الجواب بنعم أو الاكتفاء بقوله "هو الطهور ماؤه"، لكنه عليه الصلاة والسلام أطنب وزاد في الجواب، ففي إطنابه خرق لمبدأ الكم، ووراء ذلك الخرق معنىً استلزامي مقصود هو مراعاة حال السائل بإتمام الفائدة له بالعلم، والتنبيه على أن يكون السؤال شمولياً فأضاف "والحِلّ ميتته" فكانت الزيادة من الأسلوب الحكيم؛ لأنها زيادة لم يسأل عنها السائل.

فهل من غرض بلاغي من الزيادة؟ إنه لما كان عليه الصلاة والسلام يراعي سياقات الكلام ومقامات الخطاب، أراد من الجواب أن يكون فيه مراعاة لحال السائل وهذا من فطنته عليه السلام ودقته وحكمته، فحال السائل هو ممن يركب البحر، والمسافر في البحر كما يحتاج إلى الماء للطهارة يحتاج إلى الطعام، ومن هذا الطعام ما يعيش في البحر من أسماك وغيرها، فكما يهم السائل معرفة الفتوى من طهارة الماء، يهمه معرفة الفتوى في صيد البحر، ومن هنا حملت الزيادة في الجواب فائدة بلاغية لا تحصل إلا معها، وجاءت ملبيّة لمقام الحال، وقد عقّب ابن العربي على ذلك بقوله: "وذلك من محاسن الفتوى، أن يجاء في الجواب بأكثر مما يسأل عنه، تتميماً للفائدة، وإفادة لعلم آخر غير مسؤول عنه، ويتأكد ذلك عند ظهور الحاجة إلى الحكم كما هو الحال هنا، لأن من توقف في طهورية ماء البحر فهو عن العلم بحلّ ميتته مع تقديم تحريم الميتة أشد توقفاً"(٣).

---

(١) السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص٣٢٧.

(٢) الإمام مالك بن أحمد، **الموطأ**، تح عبد الوهاب عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٥، ١٩٩٦، ص٤٣.

(٣) المباكفوري، محمد عبد الرحمن، **تحفة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي**، بشرح الإمام ابن العربي المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت، ١: ١٨٨–١٨٩.

شواهد الأسلوب الحكيم في خرق قاعدة الملاءمة أو المقام: دراسة تداولية

تأتي معظم شواهد الأسلوب الحكيم التي تتضمن خرقاً لقاعدة الملاءمة في القسم الثاني منه والذي هو "تلقي السائل بغير ما يتطلب"، ومن حالات الجواب مع السؤال في مثل هذا السياق أن يكون الجواب خارجاً عن موضوع السؤال، وذلك بتنزيل سؤال السائل منزلة غيره، أي يعدل في الجواب عن السؤال، ويجيب عن سؤال لم يسأله السائل تنبيهاً على أنه الأولى أو المهم له أن يسأل عن هذا بدل السؤال الذي طرحه، أو لغرض بلاغي يقتضيه المقام(١). ومثل هذا العدول وعدم الملاءمة بين منطوق الخطاب وحال المتلقي، هو ما يعرف بالخروج عن مقتضى الظاهر، وفي ذلك تحقيقاً لغرض خرق قاعدة الملاءمة أو المقام.

ومن أهم الشواهد التي يمثّل لها البلاغيون في هذا السياق آية الأهلة في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾(٢).

إنّ سياق المقام، ونقصد به هنا نزول الآية، يغدو مفيداً وضرورياً لفهم آلية الخرق التي تمت، فعليه يُعتمد في فهم المقصود المضمّن في السياق القرآني، فسبب النزول أنّ السائلين قالوا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يكون كما بدا، ولا يكون على حالة واحدة، فنزلت الآية(٣).

والواضح من سياق النزول أنّ السؤال كان عن سبب تغيّر حالات الأهلة، ولكنّ الجواب كان بتوضيح الفائدة وبيان منافعها، فتمّ هنا تلقّي السائل بغير ما يتطلب، وتحقق خرق قاعدة المناسبة بعدم مطابقة الجواب للسؤال، إذ إنّ مقام السؤال الذي كشفه أسباب النزول بيّن العدول والخرق في الجواب عن موجب الخطاب.

وتسعى التداولية، أثناء حدوث الخرق والانتهاك، أن تُحمّل الخطاب معنى مُضمناً يقصده المخاطب، ونجده في هذا المقام يتلخص في أنّه كان الأولى والأليق بحالهم أن يكون عندهم هذا الغرض وهذه الفائدة، فالسؤال عن فوائد الأهلة أنفع لهم بمعرفته في أمور حياتهم وشؤونهم، بدل السؤال عما لا فائدة في معرفته وهو السبب، لأنهم ليسوا ممن يطلعون بسهولة على دقائق علم الهيئة ولا

(١) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ٢: ٣٦٩.

(٢) سورة البقرة، آية ١٨٩.

(٣) الواحدي، **أسباب النزول**، تخريج وتوثيق عصام بن عبد الرحمن الحميدان، دار الأحلام–الدمام، ١٩٩٠، ص٥٣–٥٤.

يتعلق لهم به غرض. فجاء التوجيه القرآني ليعلمهم درساً تربوياً يتمثل في البحث دائماً عن الخير وعن الأنفع في أمور الحياة، والذي يحقق منافع دنيوية.

وذلك يوصلنا إلى أنّ الأمر في الآية القرآنية "لا يتعلق بأنماط معروفة من الاستخدامات اللغوية غير المباشرة، بل السياق هو الفيصل في الكثير من الحالات، ويظل القادح الرئيسي في عملية الاستنباط تلك ما يلاحظه السامع في ملفوظات المتكلم من انتهاك لقاعدة من قواعد غرايس"(١).

ومن الشواهد التي يسوقها البلاغيون في هذا الجزء من الأسلوب الحكيم ما نقله الجاحظ في محاورة رجل للحطيئة بقوله: "كان الحطيئة يرعى غنماً له، وفي يده عصا، فمرّ به رجل فقال: يا راعي الغنم، ما عندك؟ قال: عجراء من سلمٍ. يعني عصاه" قال: إني ضيف. قال الحطئية: للضيفان أعددتها"(٢).

يسأل المتكلم الحطيئة عما عنده من مأكل أو مشرب أو ما عنده من أخبار، لكن الحطيئة يجيبه بما هو غير متوقع، وبغير ما يتطلب، فأوقع نوعاً من المفاجأة عند هذا السائل، وتعجب من جوابه لما رآه خارجاً عن مقتضى سؤاله. فقال الرجل للحطيئة: "إني ضيف"، وكأنه بهذه الإضافة يريد أن يرشده إلى مراده من السؤال، ولكن الحطيئة يصرّ على موقفه وردّه، ويزيل التوهم من ذهن هذا السائل بأنّ الأمر لم يلتبس عليه، وأنّه قد تعمّد بهذا الخرق والانتهاك في محادثته بعدوله في جوابه، وإخراجه على غير مقتضى حاله، فيقول راداً عليه: "للضيفان أعددتها".

مما لا شك فيه أنّ هذه المحاورة فيها خرق لقاعدة الملاءمة أو المناسبة، وهذا واضح من إجابات الحطيئة لسائله، إذ تلقاه بغير ما يتطلب، بل لم يراعِ في خطابه مبادئ التأدب وقواعده في حواره، فنراه يُفعّل التأدب السلبي على حساب التأدب الإيجابي.

إنّ لصورة العدول ما يبررها بلاغياً ومقامياً، والجدير بالملاحظة أنّ الخروج في المحاورة لم يكن كما عهدنا في الأسلوب الحكيم، بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهاً له على أنه الأولى بحاله أو المهم له وهذا يجعل من المحاورة كذلك خرقاً لقاعدة الكم؛ لأن الخبر في هذه المحاورة لا يضيف شيئاً جديداً، وهنا تغدو إجابات الحطيئة مفيدة وذات أثر بلاغي، عندما نقف على السياق العام للمحاورة، ونفهم مقام الحال لها، ذلك "أنّ كل سياق يوجهه هدف تواصلي محدد، وأن الغاية من استعمال المتكلم اللغة هو إحداث أثر في ذهن السامع"(٣)، فالحطيئة يظهر في المحاورة أنه راعٍ للغنم، أي من أهل البادية،

(١) عبيد، **نظرية التأدب**، ص١٤١.

(٢) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٢: ١٤٧. العجراء: كثرة العقد، السلم بالتحريك نوع من الشجر.

(٣) عبيد، **نظرية التأدب**، ص١٢٣.

وهم معروفون بالكرم وحسن الضيافة والاستقبال، وكذلك معروفون بالتظرّف والملاحة، ونستذكر هنا في المحاورة رد السائل للحطيئة بقوله "إني ضيف"، وكأنّه يذكره بشيم أهل البادية مع الضيف، وأنّه ما هكذا تكون آداب الضيافة والاستقبال والحفاوة. وفي ذلك تأكيد لمقصدية الحطيئة في تحقيق العدول في إجاباته، وأنّ خرقه لأحد قواعد التعاون في المحادثة جاء لغرض بلاغي تداولي هو" التظرف والملاحة والحذاقة"، إذ إنّ هذا من طبع أهل البادية، وما يجري بينهم حين يلتقون مع بعضهم، لذا يُعدّ هذا الغرض البلاغي من الأغراض التي يحققها الأسلوب الحكيم.

ولا يخفي على أحد أنّ التظرّف يلجأ إليه بعضهم لإظهار كياستهم وقدرتهم على توظيف الملفوظات بغير ما يقصدها المتكلم، ومثل هذا التصرف نجده مستعملاً في حياة الناس في بعض حواراتهم، وخير ما جاء في هذا السياق ما نقله لنا الأديب الوشاء بوصفه للظرف والتظرف قائلاً: "واعلم أن الظرف ليس بمستغنىً عنه، ولا هو مما يخلُ منه، ولا يعنف فيه صاحبه، بل هو أنبل ما استعمله العلماء وصبا إليه الأدباء، وتزينوا به عند اودّائهم، ... وللمتكلف علامات تظهر في حركاته، وتبين في لحظاته، ... وأنّ المطبوع على الظرف ليشهد له القلب، عند معاينته بحلاوته، وتسكن النفس عند لقائه في مجالسته،... وهو بيّن في منطقه، غير مستتر عند صمته، دلائله واضحة في مشيته وزّيه ولفظه، يستدل عليه بظاهر حركة الملاحة دون اختبار باطن الحلاوة"[١].

ومن الممكن، هنا، توجيه الغرض البلاغي من المحاورة وجهة مقامية أخرى، وهي التخلص من السائل، إذا أخذنا بالاعتبار أنّ أهل البدو ليسوا جميعاً ممن يتمتع بتلك الظرافة، وأن الحطيئة كان في وقتها في حالة نفسية من التعب أو الغضب، بحسب طبيعة عمله، بحيث لا يرغب في الدخول بالحوار والمحادثة مع أحد، أو لأي عارض نفسي آخر، جعله يعدل في جوابه ويُظهر له قِلة التأدب في حواره، دفعاً له للانصراف وإظهاراً منه لعدم رغبته في الحوار. وهذا أيضاً نجده ماثلاً في بعض أمور حياتنا، فالمحاورة هنا مجردة وليس فيها معاينة ومشاهدة، فيصبح من الصعوبة بمكان الحكم على ما تؤول إليه جمل الحطيئة، إذ بعض الجمل يمكن الحكم عليها ومعرفة مدلولاتها من مشاهدة ملامح المتكلم وتعابير وجهه أثناء الخطاب.

(١) الوشاء، محمد بن أحمد بن يحيى، **الظرف والظرفاء**، تح كمال مصطفى، مكتبة الخانجي – مصر، ط١، ١٩٥٣، ص٥٨.

ومن شواهد أهل البلاغة في الأسلوب الحكيم التي انطوت على تحقيق غرض بلاغي غير ما ورد ذكره سابقاً، قول صلاح الدين الصفدي[1]:

وصاحبٍ لما أتاه الغنى تاه ونفس المرء طمّاحه
وقال: هل أبصرت منه يداً تشكرها؟ قلت: ولا راحه

إنّ النظر في معنى البيتين السابقين يتبين للقارئ، للوهلة الأولى، أنّه يقصد باليد في البيت الثاني اليد المعروفة، ويقصد بالراحة باطن الكف بدليل الفعل الإنجازي "أبصرت"، وبهذا الفهم لا يكون البيتان ضمن شواهد الأسلوب الحكيم؛ لأنّ الجواب مطابق لمقتضى الظاهر. ولكن عند التفحّص والتأمل في البيتين من زاوية مقام الخطاب أو الحال، مع معرفتنا أنّ "المقام" – بوصفه بعداً إجرائياً تداولياً وأداة معرفية مهمة في تحليل الخطاب– يتأسس على أنّ إدراك المعنى لا يتوقف عند حدود الشكل اللغوي، بل يكون فهم المعنى مرتبطاً بطبقات السامع وظروفه ومقامه الاجتماعي أثناء صناعة الكلام، كل ذلك يجعلنا نعيد النظر في كلمتيّ "يد" و "راحة"، انطلاقاً من أنّ ثمّة خرقاً بين معنى المتكلم الذي يقصده ومعنى الجملة الحرفي، وهذان المعنيان لا يتطابقان؛ فالمتكلم يقول شيئاً ويقصد شيئاً آخر، فإذا وقفنا عند كلمة "يد" التي وردت في السؤال نجدها بمعنى المعروف والنعمة على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته السببية، وهو استعمال بلاغي لها، ولكنّ المجيب حوّلها إلى معنى اليد الجارحة بقوله "ولا راحة" ،استناداً إلى أنّ معنى راحة هو باطن الكف، فكأنّ المجيب ينفي رؤية اليد الجارحة، فيكون بذلك تلقى السائل بغير ما يتطلب، باعتبار أنّ السؤال كان عما إذا تلقّى منه معروفاً.

تمثّل في البيتين خرق لقاعدة الملاءمة، إذ جاء الجواب خروجاً عن موضوع السؤال استناداً إلى مقام الحال، كما نجد في البيتين خرقاً لقاعدة أخرى من قواعد غرايس، وهي قاعدة الكيف، إذ لم يكن المجيب صادقاً في قوله، إذ لو التزم بالصدق لكان جوابه حرفياً ومطابقاً للسؤال، ولكننا نجده يلجأ إلى خاصية بلاغية هي "التورية" لتكون هذه الخاصية معبره إلى الأسلوب الحكيم، ونجدها متحققة في كلمة (راحة)، ليفتح بذلك باب التأويل لسامعه، فكلمة راحة تحمل معنيين: الأول باطن الكف وهذا الذي رشّح الجارحة لليد، والثاني الارتياح وهدوء البال، ليطابق معنى اليد أي النعمة والمعروف. فالمعنى الأول، وهو مادي محسوس، هو المحقق لغاية الأسلوب الحكيم، لأنه جاء عدولاً وخروجاً عن مقتضى السؤال الذي كان عما إذا تلقى منه معروفاً (وهو شيء معنوي).

(١) ابن معصوم المدني، **أنوار الربيع في انواع البديع**، تح شاكر هادي نهر، مكتبة العرفان، كربلاء، ١٩٦٨، ٢:٢٠٩.

لقد أبدع الشاعر في استعماله للفظيّ "يد" و "راحة"، إذ جعل كل كلمة تحمل معنيين، إذ عند قراءتك للبيت الثاني تجدهما يحملان معنىً واضحاً، وعند التأمل والفهم بحسب المقام تراهما يحملان معنى آخر هو على خلاف المعنى الأول، والشاعر بهذا كأنّه يوهمك أنه يعيد اللفظة كما هي، لكنك إذا فتشت وجدت أنه قد أوهمك الإعادة وقد أفاد معنى جديداً. كما تمثل إبداعه في توظيف خاصية التورية ليعبر من خلالها إلى مراده "فترى اللفظ الواحد الذي استخدمه في البناءين [أي البيتين] يضيف إلى المعنى عمقاً جديداً، وإلى اللفظ نغماً عذباً، يسري إلى النفوس هادئاً ساكناً يبعث على المتعة واللذة"(١).

إنّ الخرق الذي أحدثه المخاطب في قواعد التعاون ألجأ المجيب إلى استخدام لغوي غير مباشر، لأنّ مثل هذا الاستخدام يوفر له إمكانات واسعة في القول، ويصبح السامع هنا مدعوّ إلى القيام بعمل استنباطي لإدراك مقصد المتكلم المضمّن في الملفوظ. وفي تأمل ما سبق نجد أنّ المعنى المضمّن الذي قصده المتكلم هو إمعان إنكار المجيب لتلقيه المعروف أو إبصاره ليده، فهو لم يرَ منه يد ولا راحة بالمعنى المعنوي أو بالمعنى الحسّي للمفردات، فهو إذا لم يبصر كف المنعم ولا يده فكيف يصل إلى فضله!

إنّ هذا المعنى المضمّن يؤكد أنّ الغرض البلاغي التداولي من هذا العدول والخرق ليس بتنزيل بتنزيل سؤاله منزلة غيره لتأكيده على الأولى والأهم لحاله كما جاء في تعريف الأسلوب الحكيم، بل نجد الغرض هنا هو "الدعابة والملاحة والملاطفة في القول بالمزاح وغيره"، فكان جواب المجيب حاملاً لمثل هذه الروح، وهذا الأسلوب من الأساليب الشائعة في حياة الناس عن طريق إشاعة البهجة أو التأنيس أو التسلية في بعض المواقف التحاورية كأسلوب غير مباشر لإيصال مرادنا ومقصدنا، وفي ذلك ما يؤكد أنّه قد "يرمي المتكلم من خلال قوله إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي، مثلما هو الشأن في التلميحات والسخرية والاستعارة وحالات تعدد المعنى"(٢).

ولما كان هذا البحث لا يستطيع أن يوفي شواهد الأسلوب الحكيم حقها في التحليل لكثرتها، ومع الحرص على عرضها لأهميتها، فارتأينا تزويد البحث بملحق يعرض لهذه الشواهد، مع تبيان القاعدة التي تم فيها الخرق من قواعد التعاون، والمعنى البلاغي المضمّن فيه والناتج عن حدوث الخرق.

(١) الصفدي، صلاح الدين، **الهول المعجب في القول بالموجب**، تح محمد عبد المجيد لاشيسه، دار الآفاق العربية – بيروت، د.ت، ص٥١. وانظر الحموي، **خزانة الأدب**، ١: ٢٦٠.

(٢) بوشيخة، خديجة، **محاضرات في اللسانيات التداولية**، ص٢٩.

الشاهد من الأسلوب الحكيم	خرق قواعد غرايس التعاونية	المعنى المضمّن/المقصد البلاغي
قول حاتم الطائي: أتت تشتكي عندي مزاولة القرى وقد رأت الضيفان ينحون منزلي فقلت كأني ما سمعت كلامها هم الضيف جِدي في قِراهم وعجلي الخطيب القزويني، الايضاح ٧٩	حدث فيها خرق لقاعدة الملاءمة أو المناسبة	حثها على اللائق بحالها والأهم لها في هذا المقام وهو الزيادة في خدمة الضيوف بدل التذمر منهم
قوله تعالى: "يسألونك ماذا ينفقون قول ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل" البقرة آية ٢١٥	حدث فيها خرق لقاعدة الملاءمة أو المناسبة	التركيز على الأولى والأهم لحالهم فبدل السؤال عند بيان ما ينفقون الأولى أن يسألوا عن الأبواب التي يصرفون بها الأموال بما يجلب لهم الخير
قال شهاب الدين أبي الثناء محمود: رأتني وقد نال مني النحول وفاضت دموعي على الخد فيضاً وقالت: بعيني هذا السقام فقلت: صدقت، وبالخصر أيضاً الحموي، خزانة الأدب، شرح عصام شعيتو،١: ٢٦٠	حدث فيها خرق لقاعدة الكيف من خلال توظيف خاصة بلاغية هي التورية وكذلك خرق لمبدأ الملاءمة	التركيز على الاولى والاهم لحاله في العشق وما يصيبه من نحول: مادياً ومعنوياً
قول الحجاج للمهلب: أنا أطول أم أنت؟ فقال المهلب: الأمير أطول مني، وأنا أبسط قامة. النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تح عبدالكريم الجندي، ص٦٠٤	حدث فيه خرق لقاعدة الكم عن طريق زيادة في الجواب، وفيه خرق لقاعدة الأسلوب أو الجهة	التركيز على الأهم والأليق لحاله وهو التأدب في مقام الخليفة
قوله تعالى:" وإذا تتلى عليهم آياتنا بنيات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله، قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي" يونس، آية ١٥	فيها خرق لقاعدة الكم فالجواب أنقص من السؤال لضرورة الحال، وفيه خرق لقاعدة الكيف عن طريق السخرية والاستهزاء من الكفار	أن يسألوا عّما يهمهم في حياتهم، بدل السؤال عن أمر لا فائدة لهم بعلمه وعمله =، وفيه التوبيخ والتقريع لهم

الشاهد من الاسلوب الحكيم	خرق قواعد غرايس التعاونية	المعنى المضمّن/المقصد البلاغي
عن عقبة بن عامر قال: "لقيت رسول الله –ص– فقلت ما النجاة؟ فقال: أملك عليك لسانك وليسعك بيتك، وابك على خطيئك" مسند الإمام أحمد،٤: ١٤٨، ١٥٨	الحديث فيه خرق لمبدأ المناسبة أو الملاءمة، وخرق لقاعدة الأسلوب	مراعاة حال السائل والتركيز على ما يهمه بمعرفة أبواب النجاة أفضل من معرفة ماهيتها
ما ذكر العسكري أنه دخل سعيد بن مُرّة الكندي على معاوية فقال له: أنت سعيد؟ قال: أمير المؤمنين السعيد وأنا ابن مرة" الجاحظ، المحاسن والأضداد، دار الهلال، بيروت، ص٣٧	الشاهد فيه خرق لمبدأ الكم بوجود زيادة في الجواب عن السؤال، وفيه خرق لمبدأ الكيف عن طريق التورية، وخرق لمبدأ الأسلوب عن طريق الغموض في الدلالة	التأدب في حضرة الامير والتخلص من عقابه
سُئل ابن سيرين عن رجل: فقال: توفي البارحة، فلما رأى جزع السائل، قرأ "الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها"، قال: وإنما أردت بالوفاة النوم ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح محمد الدالي، ص١٥	فيها خرق لقاعدة الملاءمة او المناسبة، وخرق لقاعدة الأسلوب	الدعابة والتظّرف في مقام الكلام
قال يحيى بن خالد البرمكي لعبد الملك ين صالح: "أنت حقود؟ فقال: إن كان الحقد عندك بقاء الخير والشر فإنهما عندي لباقيان. العسكري، الصناعتين، تح علي البجاوي، ص٤٢٧	الشاهد فيه خرق لقاعدة الملاءمة بعدم تناسب الجواب مع السؤال. وفيه خرق لمبدأ الكيف عن طريق التعريض	التلطّف في مقام الأمير مخافة بطشه، وسعي المتحدث للمحافظة على ماء وجهه

الخاتمة:

في البدء كانت البلاغة العربية القديمة بعلومها الثلاث: علم المعاني والبيان والبديع ثم ظهرت البلاغة الجديدة فيما يُعرف بالحجاج التي شكلت نظرية الاتصال فيها اللبنة الأساسية للتواصل في عصر وسم بـ "عصر التواصل والحجاج". ولما كان الحجاج ظاهرة متجسدة في الخطاب، كان لزاماً أن يتلبس بألبسة لسانية وأسلوبية، في وقت جرى فيه القول على أنّ دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي هو شأن التداولية، وبذلك حاولت التداولية بنظرياتها ومبادئها أن تعالج الحجاج باعتباره فعلاً تداولياً.

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل شواهد الأسلوب الحكيم تحليلاً لسانياً تداولياً وفق قواعد غرايس التعاونية، وربط هذا الأسلوب البلاغي بالحجاج لعزله عن دوره الجمالي والتحسيني وتوجيهه لتأدية

وظيفة إقناعية استدلالية، في سعي جاد للكشف عن قيمة هذا الأسلوب، وتبيّن المعاني المضمنة فيه والأغراض البلاغية التداولية التي يهدف إليها عند حدوث صورة الخرق والانتهاك في تلك القواعد، مع بيان القاعدة التي تم فيها خرق الشاهد، وقد سعت الدراسة إلى استثمار كل المفاهيم والقضايا التداولية التي تخدمها وتآزرها، وتعينها في الوصول إلى غرضها مثل: نظرية التأدب والقول المضمّن والمقام وغيرها.

وقد خلص البحث إلى عدة نتائج من أهمها:

أولاً: إنّ الأسلوب الحكيم بما هو عدول في الجواب يتشابه في طريقته ومنهجه مع قواعد التعاون الغرايسية في حال خرقها وانتهاكها، وبذلك تكون دراسة هذا الأسلوب وتحليله وفق هذه القواعد دراسة مجدية تكشف عن الفائدة الجمالية والحجاجية فيه.

ثانياً: ثمّة غاية بلاغية ومعنىً ضمني استلزامي من ثنائيي: الأسلوب الحكيم وقواعد التعاون في قاعدة العدول، فالعدول في الأسلوب الحكيم يحقق غاية بلاغية مضمّنة هي دفع المخاطب للتركيز على الأولى والأهم لحاله، والخرق في قواعد غرايس يدفع المتكلم للتعبير بأسلوب غير مباشر إذ يجعل ملفوظه يحوي معنىً مضمّناً فيه يُفهم بحسب السياق.

ثالثاً: إنّ مفاهيم البلاغة العربية القديمة ومصطلحاتها، على العموم، صالحة لأن تُدرس وتحلّ وفق نظريات الحجاج وعلم التداولية، باعتبارهما المظلة الأوسع في التحليل ولكونهما يحتويان على آليات ومبادئ قادرة على الكشف عن الأبعاد التداولية والحجاجية.

رابعاً: إنّ الأغراض البلاغية الناتجة عن الخرق في شواهد الأسلوب الحكيم ليست واحدة بل متعددة ومتشعبة، أهمها: التنبيه على اللائق والأهم، والتّخلص، والتّلطّف، والتّأدّب، والتّظرف والدعابة.

تتمثل أهم توصيات البحث في العناية بالدراسة المعمقة لتطور المفاهيم الاصطلاحية مثل مصطلح الأسلوب الحكيم واستثمارها في دراسة القضايا المتفرعة عنها. وكذلك التركيز على المصطلحات البلاغية العربية من خلال التوجه الى الدراسات المتخصصة التي تتناول هذه المصطلحات بالمعالجة الوافية العميقة التي تتجاوز الوقوف على التعريف اللغوي والاصطلاحي الى الدراسة التاريخية التي تحاول تتبّع مراحل تطور المصطلح في حقله المعرفي وكيفية توظيفه وآليات استثماره في المنتج البلاغي.

وإذا كنا نذهب مع طه عبد الرحمن في مقولته التي يرى فيها أنّ الأصل في تكوثر الخطاب صفته الحجاجية، بناء على أنّه لا خطاب بغير حجاج، تصبح الدعوة لإعادة النظر في المشروع البلاغي العربي، وعلى الأخص مصطلحاته، وفق البلاغة الجديدة دعوة مشروعة وجديرة بالأخذ والتنقيب.

المراجع العربية

الاسفرائيني، عصام الدين، الأطول، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠١.

أعراب، الحبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، عمان، ٢٠١٠.

الإمـــام مالك بن أحمد، الموطأ، تح عبد الوهاب عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٥، ١٩٩٦.

بدر الدين بن مالك، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب بالجماميز، د.ت.

بلخير، عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٣.

بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر – الجزائر، ٢٠٠٩.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، تقديم عبد الحكيم راضي، الشركة الدولية للطباعة – مصر، ٢٠٠٣.

الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، ٢٠٠٠.

الحباشة، صابر، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨.

الحموي، ابن حجة، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق كوكـــب دياب، دار صـــادر، بيروت، ج٢، ط٢، ٢٠٠٥.

الرقبي، رضوان، من البلاغة الى التداولية: دراسة تحليلية، عالم الكتب الحديث، اربد، ٢٠١٨.

السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية–بيروت، ط٢، ١٩٨٧.

السيوطي، شرح عقود الجُمان في علم المعاني والبيان، تح ابراهيم الحمداني وأمين الحبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١.

ـــــــ، الإتقان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريـــة العامـــة للكتاب، ج٢، ١٩٧٤.

الشهري، عبد الهادي بن ظافـر، استراتيجيات الخطاب (مقاربة تداولية)، دار الكتاب الجديـــد، بيروت، ٢٠٠٤.

صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت ٢٠٠٥.

الصفدي، صلاح الدين، الهول المعجب في القول بالموجب، تح محمد عبد المجيد لاشيسه، دار الآفاق العربية – بيروت، د.ت.

طلحة، محمود، تداولية الخطاب السردي، جدار للكتاب العالمي، ٢٠١٢.

الطيبي، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، تحقيق هادي عطية الهلالي، عالم الكتب، ١٩٨٦ .

عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٥، ٢٠٠٠.
ـــــــــ، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨.
القزويني، الخطيب، الايضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت.
المبا كفوري، محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي، بشرح الإمام ابن العربي المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت، ج١، د.ت.
ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، تح شاكر هادي نهر، مكتبة العرفان، كربلاء، ج٢، ١٩٦٨.
الميداني، عبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، د.ت. العسكري، أبو هلال، الأوائل، دار البشير – طنطا، ١٩٨٧.
الواحدي، أسباب النزول، تخريج وتوثيق عصام بن عبد الرحمن الحميدان، دار الأحلام – الدمام، ١٩٩٠.
الوشاء، محمد بن أحمد بن يحيى، الظرف والظرفاء، تح كمال مصطفى، مكتبة الخانجي – مصر، ط١، ١٩٥٣.

المراجع الانجليزية

Brian parltridge, Discourse analysis: An introduction, BloonsBury-london, 2nd edition, 2012. p44

المجلات والدوريات العربية:

الحاج، ذهبية حمو، قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة شيزي دزو، دار الأمل، ع٢، ٢٠٠٧.
الصامل، محمد بن علي، الأسلوب الحكيم: دراسة بلاغية تحليلية، مجلة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية – السعودية، ع١٥، ١٩٩٦.
عبيد، حاتم، نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، عالم الفكر، الكويت، ع١، م٤٣، ٢٠١٤.
العمري، محمد، تكامل المعارف، اللسانيات والمنطق، دراسات سيمائية لسانية أدبية، المغرب، ع٢، ١٩٨٧.
لهوميل، باديس، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، جامعة محمد خضير، بسكرة – الجزائر، ع٧، ٢٠٠١.
الهلالي، سعيد إسماعيل، الأسلوب الحكيم دراسة تاريخية فنية، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، مصر، م١، ع٢٩، ٢٠٠٩.

الرسائل الجامعية:

أحمد، علي زواوي، أسلوب الحكيم في القرآن الكريم دراسة بلاغية أسلوبية، رسالة ماجستير، إشراف أ.د أحمد لخضير، جامعة قاصدي مرباح–ورقلة، الجزائر، ٢٠٠٣.